

المحاضرة الأولى: في مفهوم فلسفة الأخلاق وإشكالياتها التأسيسية

(الجزء الخامس)

علي كريم

خامساً: نظرة في الفلسفة الأخلاقية الإسلامية (التكامل والإبداع)

لا تكتمل المحاضرة دون إبراز خصوصية تناول الإسلام الذي لم يكن مجرد تكرار لليونان، بل كان تركيباً إبداعياً بين "نور الوحي" و"نور العقل". وسنركز هنا على النماذج التأسيسية والنقدية المعاصرة.

ابن مسكويه: الجسر بين اليونان والإسلام

في كتابه العمدة "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق"، يُلقب ابن مسكويه بـ "المعلم الثالث" في الأخلاق.

- المشروع: حاول التوفيق بين أخلاق أرسطو (السعادة، الفضيلة كوسط بين رذيلتين) وبين الشريعة الإسلامية. رأى أن الشريعة تأتي لتقويم ما في الطبع البشري، وأن الفلسفة توضح طريق السعادة.
- السعادة: ميز بين سعادة دنيوية ناقصة وسعادة أخروية تامة، جاعلاً الأخلاق سلماً للصعود نحو الكمال¹⁰.

الإمام الغزالي: المنعطف النفسي والروحي

نقل الغزالي الأخلاق من "التنظير الفلسفي الجاف" إلى "الدينامية النفسية والروحية" في موسوعته "إحياء علوم الدين".

- تشریح النفس: حلل النفس البشرية إلى قوى (شهوة، غضبية، عقلية)، ورأى أن الفضيلة هي التوازن (العدل) بين هذه القوى تحت هيمنة العقل والشرع¹¹.
- المعيار: ربط الأخلاق بـ "التزكية" و"علم المعاملة"، جاعلاً الغاية هي "القرب من الله" وليس مجرد السعادة المدنية. انتقل بالأخلاق من سلوك اجتماعي إلى "رياضة روحية"¹².

الإسهامات المعاصرة: محمد عبد الله دراز وطه عبد الرحمن

أ. محمد عبد الله دراز (دستور الأخلاق في القرآن)

قدم دراز في أطروحته للسوربون (1947) نظرية أخلاقية متكاملة مستنبطة مباشرة من القرآن، متجاوزاً بها نظريات كانط وبرغسون.

- نظريته: أثبت أن الأخلاق القرآنية تجمع بين "الإلزام" (كسلطة عليا) و"المسؤولية" (كحرية اختيار)، و"الجزاء" (كمطلب للعدالة). الأخلاق عنده ليست نفعية، ولا وضعية، بل هي "نسق رباني" يحقق انسجام الإنسان مع الكون³².

ب. طه عبد الرحمن (النسق الائتماني)

يُعد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن أبرز الأصوات النقدية المعاصرة في فلسفة الأخلاق.

- النقد: يوجه نقداً جذرياً للحدائثة الغربية التي فصلت الأخلاق عن الدين، مما أدى إلى "تفقير" الإنسان.
- البديل (الائتمانية): يطرح "براديجم الائتمان (Trusteeship Paradigm)" بديلاً عن "براديجم التملك". الإنسان ليس "مالكاً" للطبيعة ولنفسه (كما في الحدائثة)، بل

هو "مؤمن" عليهما من قبل الله. الأخلاق الإثمانية تعيد وصل "الشهادة" (العالم المادي) بـ "الغيب" (العالم الروحي)، متجاوزة قصور الأخلاق العلمانية⁵⁵.

خاتمة واستنتاجات

بناءً على هذا المسح البحثي الشامل، نخلص في ختام هذه المحاضرة التأسيسية إلى جملة من النتائج التي تشكل أرضية للانطلاق في باقي محاضرات المقياس:

1. العمق المفهومي: فلسفة الأخلاق (Ethics) هي التفكير النقدي في الأسس النظرية للأخلاق (Morality)، وهي تتميز عن العلوم الوصفية (كعلم النفس والاجتماع) بطابعها المعياري (ما ينبغي أن يكون).
2. ترابط المستويات: لا يمكن فصل البحث في "ما وراء الأخلاق" (طبيعة الخير) عن "الأخلاق المعيارية" (قواعد السلوك) ولا عن "التطبيقات العملية" (مشكلات الواقع).
3. تكامل النموذج الإسلامي: يقدم التراث الإسلامي (الكلاسيكي والحديث) نماذج أخلاقية تتجاوز ثنائيات الفكر الغربي (الواجب/المنفعة، العقل/النقل)، مقدماً نسقاً يدمج "الفطرة" و"الوحي" و"المسؤولية" في إطار أثنائي متماسك.

توصية مرجعية للطلاب

للتعمق في مادة هذه المحاضرة، يُنصح بالعودة إلى أمهات المصادر التالية:

- عربياً وإسلامياً: تهذيب الأخلاق لابن مسكويه، "إحياء علوم الدين" (ربيع المهلكات والمنجيات) للغزالي، "دستور الأخلاق في القرآن" لمحمد عبد الله دراز، "سؤال الأخلاق" لطفه عبد الرحمن.

• غريباً: الأخلاق النيقوماخية" لأرسطو، "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" لكانط،
"مبادئ الأخلاق" لجورج إدموند مور.

بهذا نكون قد وضعنا اللبنة الأولى في صرح هذا المقياس، مهدنا الطريق للغوص في
تفاصيل المذاهب الأخلاقية الكبرى في المحاضرات القادمة.

محاضرات فلسفة الأخلاق